

عبد الرحمن مجيد الربيعي

من مخامرات أحمد العيد في لياليه الحافلة

الى : أ. ف. المغربي

لقطات :

من أجل الامام بتشعبات ليالي احمد العيد الحافلة بتعذر علي ان اروي الاحداث وفق متابعتها فلكل ليلة مآثرها ، ولكل جلسة حكاياها .
وها انا اروي البعض منها اعتمادا على ذاكرتي وربما نسيت حكايات اكثر دعابة واهمية ، واظنني معدورا فحكايا الليل كثيرة . والفقهات تنرى ، والحزن باق .

اللقطة الاولى :

مرة واحدة خلال السنوات التي رافقت احمد العيد فيها نسي ان يحوش شيئا من محتويات مائدته . وكان السبب دخوله الجاد مع جليس جديد قادم من مدينة لطيف . وكان حديثهما يدور حول مستقبل الانقلاب العسكري في كمبوديا . وشعبية سيهانوك ، ومساندة المسكر الاشتراكي له . وكان حديث احمد العيد جادا ومنشعبا . جعلني اصفي اليه بانتباه . كانت له تقديراته الذكية عن وضع جنوب شرقي آسيا ، والعلاقة بين الصين والاتحاد السوفيتي . . الخ .

(ملاحظة : وفق معلوماتي ، كان احمد العيد عضوا في احد الاحزاب السرية ، ايام الحكم الملكي المباد ، وقد قيل لي - ولم اصدق - انه كان يساهم في صياغة ادبياته - ولم اسأله عن صحة هذا الخبر -) .

وعندما خرجنا من البار وكدنا ان نغادر عتبه انتبه احمد الي حالته . وتحسس جيوبه وعبه غير مصدق . ثم انتفض كاللسوع ، واندحت عيناه مرتبكتين آسفيتين ، واخذ يدور بنظراته فلم يجد امامه غير اصص الزهور والصبير ، فقفز كالظبي رغم ضخامة حجمه ، والتفت احد الاصص وحمله على صدره . وهول باتجاه الشارع ثم سلك الممر الوسطي فيه ونحن نتبعه صانحين ، ولكنه لم يبال بنا ، وظل يعضي قدما باتجاه الباب الشرقي .

وتوقف امام المقهى الصيفي الذي نجلس فيه ، ثم هبط سلاله مسرعا ، واركن الاصص قرب ساقية يجري فيها الماء رائعا . وقال لصاحب المقهى :

- أسطة حسن ، هذا الاصص امانة عندك .

وردد الرجل البفداي ذو الشاربين الوسيمين :

- حاضر استاذ احمد .

وقد اخذ في الايام اللاحقة يتفقد الاصص ويسقيه كل يوم ، وعندما سألته صاحب المقهى :

(اما حان اخيرا لاقدم اوجاعنا ان تشر ؟) (د)

- ريلكه -

مقدمة اولي :

بعد زواجه بليلة واحدة جلسنا حول مائدتنا المهودة في بار « السويس » حيث نكرع زجاجات البيرة المسائية عليها نجعلنا نواجه بقية الليل بحفاوة واقدام .

جلس لطيف بجانبني ، وتركنا الكرسي الثالث المواجه لنا فارغا ، يداعبنا توقع ما بان احمد العيد سيأتي ، وسيتمرد على الزواج وقبوده . وقد اوصينا على زجاجة بيرة اضافية ووضعناها امام كرسيه الفارغ . وشربنا الكاس الاولى نخبه .

كنا واهمين ينظر احدهما بوجه الاخر دون ان يجد كلمة مناسبة ، وقد اكتشف جوزيف صاحب البار حالتنا فاقترب منا وتساءل :

- استاذ احمد ليس معكما ؟

وقلت له :

- تزوج .

وتمتم جوزيف من قلبه :

- هنيئا له ، الزواج نصف الدين .

واضاف وهو ينسحب من امامنا :

- ان شاء الله يوم زواجكما .

وازدادت غيوم الكتابة في سمائنا . وهرنت الشفاه عن قول كلمة فرح . وتبدل مجلسنا الصاخب الي هذا الركون الابله . ولو كان احمد العيد بيننا لاوقده مزاحا وتكئينا وتهريجا ، ولكنه رغم حماسه الاقوى وصخبه الكبير شاء ان يكون اول المنسحبين من حياتنا .

كنا نتحدث عن الزواج والاطفال وخطواتنا تطرق ارضفة الشوارع الليلية حيث ينالني احمد العيد ، جيوبه ملأى بالاوني والطاسات الصغيرة والملاق ومشاجب عيدان الاسنان التي لا بد وان يسرقها . هكنا بدافع الاتيان بعمل مميز لا يقوى عليه احد منا ، فيسجل انتصاره المكرور امام خوفنا وترددنا من ان يكتشف وتكون آنذاك فضيحة كبيرة ، وعندما يتوسط الشارع لن يهमे بعد ذلك ان يحطم هذه الاواني او يرميها كالاقرص الطائرة باتجاه دجلة الممدد في صمته البهيمي .

(د) المقاطع الشعرية من قصائد مختارة للشاعر الالماني رايز ماريا ريلكه ترجمة فؤاد رفقة .

- متى تأخذه :

اجاب احمد العيد :

- بعد ان اضيف اليه اثنين او ثلاثة .

استدراك حول بدانة احمد العيد :

الذين يعرفون احمد العيد ايام مراهقته يقولون عنه انه كان صيبا نحيلاً ، يسكن الخمول وجهه . وعندما بدأ الدم يدور في وجهه . ونظير عليه سيماء العافية والامتلاء كبرت فرجه ، وبدأ يتناول ثلاثة اضعاف ما كان يتناوله من طعام ، وكلما سمع عبارات تعلق على بدانته كان يندفع الى الطعام اكثر .
لقطة تأيية :

ذات يوم زرنا صديقاً لنا قدم من كركوك ليعمل في الصحافة ، وكان يعيش في الكفاف بشقة منسية ذات غرفة واحدة تصافح دجلة قرب الجسر . وعندما رأى احمد العيد فقدان بيته للوانه والملاصق والافداح ضرب بيده على فخذه وقال :

- ما هذا الفجر المدقع ؟

واضاف :

- سأؤت لك شقتك خلال هذا الاسبوع .

وقد فعل ذلك بعد ان سجل قائمة بست ملاعق واربعه اقداح ، وست شوكات ، وخمسة صحون حيث جلسنا في احد البارات المزدهمة ، وبدأت صحون المازة تتوالى حيث يفتتح واحدا او اثنين من كل وجبة ثم يحملها ويخرج ليضعها فوق سياج جانبي للبار يرقد في الظلام . وعندما انتهت الجلسة كانت الكمية المطلوبة لنائث شقة الصديق قد جهزت كلها .

ايضاح :

عندما يتالق احمد العيد تصبغ كل الاشياء والشوارع ملكه ، يصرخ ، ويدفع خطواته بثبات يتحرك معها جسده البهي بانتشاء ، ولن توقف رغبته في الايتان بعمل اية قوة .

وقفة :

(الموت كبير ونحن ابناؤه ،

فمه الضحك ،

وحين نطن اننا في زخم الحياة

ينجرا على البكاء في داخلنا) .

- ريلد -

ملاحظة اخرى عن زواج احمد العيد :

قال لطيف :

- وهكذا تزوج احمد العيد وانتهى الامر .

واضاف مستركا :

- لعله اصيب بنوبة الزواج فلم يقاومها .

وقلت :

- كان ظني انه يهوى واحدة تعمل معه في نفس الدائرة . انني متأكد من رغبته فيه . وهي تستظرفه جدا . ولكنه خطب ثانياه فسخت خطبته لها خلال اربعة ايام ، وعاد وخطب ثالثة بعد يومين فقط من فسح خطوبته الثانية ، ثم تزوج بعد اربعة ايام ؟

وقد تركتنا هذه الوفائع الزوجية غير المتوقعة دائخين لا نعرف لها تفسيراً .

وعندما التقيناه بعد زواجه بايام . كان يبدو عليه الاطمئنان ، وجهه نظيف وحليق ، وترتسم عليه امارات الرضى ، وقد قال :

- انني رجل نورى لا اؤمن بالزمن ، واؤمن باختصار المراحل .

فرت ان اتزوج فليكن ذلك ، ان لم تكن هذه المرأة فنلك اذ انني لا اجد خلافا بين امرأة واخرى ، وكما قال احد حكماننا تتساوى النساء متى ما وضعت نيابهن على وجوههن .

واضاف :

- على اية حال لقد قمت بهذا العمل بمزمل عنكم ولو اخبرتكم به مقدما لافشلتموه ، اليس كذلك ؟

وقال متابعاً :

- وساجملها تحمل خلال اسبوع .

وانطلقنا ضاحكين من اقواله . ثم عض على اصبعه وقال :

- ولكن من المؤسف انني وبكل عظمتي لا اقدر ان اجعلها تلد خلال اسبوعين فقط .

ثم اختفى احمد العيد ، ولم نعد نراه الا بالزيارات المتسرة التي يقوم بها الى مقهى « البلدية » في صباحات ايام الجمعة .
وقد احسنا اننا فقدناه وحاولنا ان نكيف حياتنا بدونه .

عودة شياة الاولى بعد زواج احمد العيد :

سكرنا وحيدين انا ولطيف . وبقينا نأمل كرسيه الفارغ ثم بكينا ، وافترح لطيف ان نكتب له رسالة ، نطلب فيها منه ان يعود الينا ، ويتخلى عن الكذبة التي اخذته منها . وقد وجدت اقتراحه مقبولاً . ثم استخرجنا ورقة وكتبنا له رسالة نخاطب فيها كل مواقع ضعفه ، واذكر ان من بين ما قلنا له فيها :

(عد الينا يا احمد ، فليالي بغداد جميلة ، وبدونك لن تحلو ساعاتها ، انها نفتقدك ، عشرات البارات ستفتح وكلها مزودة بالملاعق والصحون الجميلة ، فمن لها غيرك :) .

كانت رسالة طويلة ، ذكرناه فيها بنساء عرفناهن ، وليالي عشناها ، واحلام في السفر نود تحقيقها . وكنا جادين في كتابتها حتى يعود الى ليالينا الشاحبة التي كان يشعلها من فيل حماسا وضحكا ومعنى . وقد بعثنا بالرسالة صباح اليوم التالي على عنوانه في الدائرة ، ولكنه افسم بأنه لم يستلمها .

احمد العيد يحطم قيوده :

بعد ثلاث سنوات من الزواج عاد احمد العيد الى مجلسنا ، فوجدنا كما نركنا ، وكان زمننا قد توفف ، الاحاديث نفسها ، وكذلك المشاريع والظهورات .

وبعد عودته دب في خمول حياتنا نسف جديد ، واستعاد ممارسة عادته القديمة التي اصر على انه لم يتركها ، وقد همس لنا بأنه قد علم حتى زوجته عليها ليمارسها مما كلما سمحت لهما الظروف بالخروج الى احد كازينوات شارع ابي نواس .

والان احاول الاستمرار في تذكر بعض مواقعنا الجديدة واعتمادى الوحيد على الذاكرة فقط كما ذكرت سابقاً ، وكان الاجدر بي ان اسجلها في دفتر يومياتي ، ولكنني خصصته لمواضيع اخرى اعتقد انها اهم من اخبار احمد العيد .

لقطة اولى :

قال احمد العيد وهو يرفع كاسه الى اعلى بينما تجمعت الرفوة الرائعة فوق سطحها :

- انني ممتلىء . ولا يسعني عالمك الصغير .

وطوق الكاس باصابعه بحماس . نظر اليها بادية الامر ثم عيها في جوفه حتى اخرها . وتنفس بارتياح ، ثم اضاف وهو يشير بسبابته :

- كلكم ستتراجهون الى الخلف ، ووحدى الذي سأتخذ المواقع الامامية واحتلها كلها .

لقطة ثانية :

لتغسل أطباق الطعام . واينبت برئض على صدره نداعب شعيرانه واجده في ذلك لعبة صميانية مشوفة ، اما الولد فهدد بجانيه مسندا رأسه الى ذراعه العارية . ويفظ احمد العيد في ابتهاجه ، انها الحياة الامنة التي كان يريدنا .

في ايامه الاولى كان احمد العيد يعود الى بيته ويل حلول الظلام حاملا معه اكياس الفواكه والحلوى ، وقد قال له لطيف عندما التناه ذات يوم في حالته هذه :

– اين ولت ايامك يا احمد العيد حيث تكون آخر عائد الى بيته بين كل سكان بغداد ، ومملكه الليل كلها خاضعة لنفوذك ؟

ويهب احمد العيد رأسه وهو يردد :

– بسيطة ، سنعرف ما تخيء الايام .

ولكن صرخته الجديدة بدأت تأخذ معناها ، حيث ينسحب من الليل نصفه ، وما زالت لدى احمد العيد الطاعة لان برأصل ، وعندما نهض يقول بعزن :

– كل الاذان تبدو موصدة امام صراخي الصاري .

ايضاح :

ركزت في الحديث عني وعن لطيف من بين اصدياء احمد العيد ، وفي الحقيقة ان مجهوعتنا كبيرة ولكننا اكثر مواظبة من غيرنا . وهنا لا بأس من ان اشير الى بعض اصديقاتنا : ابراهيم مثلا الذي كان يضع نظارة طبية على عينيه ويكتب للمصحف حكايات سياسية لاذعة باسم مستعار (عين اخيرا في العمل الدبلوماسي) ، ووليد الاشقر الطويل الذي يكتب القصة القصيرة جدا – كما يسميها – ويفكر بالانضمام الى العمل الفدائي . وعماد الذي سقط شعر رأسه قبل الاوان ، وما تبقى منه شب بياضا ، لذا بدأ يصبغه ، ولكنه لا يستعمل لونا واحدا ، فكان شعره يبدو مرة اسود كالفحم واخرى مائلا الى الشمعة وثالثة بين بين .. وهكذا ، وعماد هذا مؤلف مسرحي معروف ، وقد قدمت بعض اعماله في الاذاعة والتليفزيون . وشريف الذي غادر الى بيروت ولم تعد تصلنا منه غير شئائه السليطة التي يصحبها على احمد وعماد . اما انا (اعتقد بان لا ضرورة للحديث عني) ، ولنا اصديقاء اخرون ايضا ، ولكن حضورهم في مجلسنا ليس منتظما ، لذا لن اشير اليهم بحماس .

لقطة سادسة :

قال لطيف :

– وصلتني رسالة من ابراهيم اليوم .

– انني مشتاق اليه ، لقد اخذه منا عمله ائدبلوماسي .

– ان الرسالة لي ولكن سطورها عن احمد العيد .

واضاف :

– يذكرني فيها بامرأة اخذناها الى شقته يوما ، وكيف حظ احمد العيد على صدرها وكاد ان ياكلها .

بلغ ريقه واردف بصونه الهامس :

– كان مسعورا كبيرا ، ولكن يبدو ان الزواج قد شفاه .

وفهتينا بالتناذ ونحن نتذكر جزءا من حياتنا الخالية منك . حيث كنا نعيش في لجة احزاننا وافراحنا منغمسين فيها بصوفية عجيبة .

وفلت :

– يجب ان بقرا احمد العيد هذه الرسالة .

– سافراها له بنفسي . لانه انهاها بهامس صغير يقول فيه : بسمح بقراءة هذا المانفستو في كافة الحانات ومقاهي الدرجة العاشرة . وفلت : سنقرأها بعد الزجاجة الرابعة ، وسيدلي بتصريحات ضد ابراهيم حتما ، وسنرسلها له ، انها لعبة جميلة يجب ان نمارسها لتوقد المشاكسة الابدية بينهما .

اعلم احمد العيد :

– بدأ تافكر بالاحالة على القاعد ، بعد سبعة شهور اكون قد اتهمت الخدمة المقررة . اريد ان انصرف الى شؤوني ومشاريعي .

كان الارتياح باديا على مجيئه الاسمر ، ولكنه كان يتكلم من انفه فقد عاوده ، انهب الجيوب ، واعراضه بادية في كثرة مسحه لانفه بقطعة ((الكلينكس)) التي كان يستلها من علبة موضوعة امامه .

فلت له مملقا على فراره :

– القاعد يعني نهاية المطاف بالنسبة لك .

واستفزه وولي فصرخ :

– كل خطوة عندي يعني مفخرة جديدة ، انني لا اراجع الى الوراء مطلقا ، ولكنني بت سئما من الوظيفة حيث انفق ساعاتي في غرفتي اناذي الملفات الخرساء الرائدة على الرفوف وهي تحمل عصارة تاريخ هذا البلد في المسرح .

وبعد ان انتهى من كلامه نهض ، تم لف قطعة ((الكلينكس)) ورماها في صندوق القمامة .. واستل اخرى بدلا منها . ثم قال :

– المسألة انني فلتة من فلتات الدهر ، وكل عمل اؤديه يجب ان ينظر اليه من خلال هذا التشخيص والا لن تصلوا الى جواب .

هيامش صغير :

نسيت ان اذكر ان احد اصديقاتنا – لا اريد ان اذكر اسمه – فد اقام في بيته معرضا دائما لتماذج من مسروقات احمد العيد ، ومع كل منها بطاقة صغيرة تشير الى المكان الذي سرق منه وتاريخه . وعندما علم احمد العيد بالخبر قال :

– كلكم تعيشون على امجادتي .

لقطة ثالثة :

بدأ احمد العيد يتألق اكثر ، وبعد زجاجة البيرة الخامسة يدلي باعترافات تتعاق بنساء يشتهيون ، واخرى يشتهيته ، وتتعلق ايضا بمشاريه الجديدة في السرفة ، ولكنه يتشاجر في اليوم التالي مع من يذكره بشيء مما قاله .

ملاحظة جانبية :

اكذ لي احد الاصدفاء الموثوقين ان احمد العيد ند بدأ يحظى باعجاب النساء ، وان سيرته أصبحت معروفة بينهن . ولولا نفتي بهذا الصديق لما صدقت قوله .

لقطة رابعة :

احمد العيد على ونمك الرسو في ميناء الاربين . ولكن خطوانه فتية وثابتة ، وكان يرجع هذه القوة الى خدمته العسكرية يوم تخرجه من معهد الفنون الجميلة ، حيث التحق كضابط احتياط ، وقد كان مزهوا انذاك بملابسه العسكرية ، وعندما اختير في قسم الانضباط العسكري برع فيه . ولكنه اخبر التسريح عندما انتهت مدة خدمته وقد برر هذا بقوله :

– اماءه مشاريع عظيمة يجب ان انجزها لادع بعجلة الفن خطوات الى الامام في هذا البلد .

لقطة خامسة (من حياته العائلية) :

ولد وبنيت ، لهما نفس وجهه ، البنت لها جديلتان صغيرتان ، ووجه اسمر مدور ، ولها عينان تنضجان بالذكاء والتباهة ، والولد اصغر منها بعام تقريبا ، اكثر برودا في حركانه ، يصرخ كثيرا ويعض من يسجر منه .

في فيالولة الظهيرة ، يهدد احمد العيد في فراشه ، امراته نمضي

وقال لطيف موافقا :

- حسنا .

ثم اردف بفرح :

- انني سميد لان ايامنا بدأت تعود . بعد ان خسنا جزءا من ربيعها في مشاكل لا تستحق الذكر .

وقلت مؤكدا :

- اننا مقبلون على ايام اكثر رخاء .

وقفه اخرى :

(من هو وحيد الان)

طويلا هكذا سيبقى

سوف يستفيق ويقرأ

ويكتب رسائل طويلة

وفي المهرات هنا وهناك

قلقا يتمشى حين تسقط الاوراق)

- ريلكه -

لقطة سابعة :

كان نثيث المطر يقسل وجه المدينة ، وانا ولطيف واحمد ننزوي في بار دافئ . اخترت نصف زجاجة من العرق بينما اختار احمد ولطيف البيرة . وامتلأت الطاولة التي امامنا باطباق المازة التي افرغ معظمها في كرش احمد .

وبعد ان انهي زجاجته الرابعة قلت له :

- وصلت للطفيل رسالة من ابراهيم .

وعلق :

- وما الذي يهمني من امره ؟

وقال لطيف :

- يهيك انه تحداك فيها .

وضرب بيده على الطاولة وقال :

- انه الخاسر اذن .

واستخرج لطيف الرسالة من جيبه ، وقراها عليه مضيفا عليها بعض التفسيرات ، وبعد ان فرغ من قراءتها هز احمد العيد يده بسخرية وقال :

- انه يعتمد اثارتي .

ثم قضم ورقة خس ، وقال قبل ان يتم بلعها :

- ولكنه لن يستطيع .

وسألته :

- هل تريد ان ترد عليه بشيء ؟

وقبل ان يجيب افترحت عليه :

- انطق بردك وسأسجله وابعث به اليه برسالة خاصة .

ورافت له الفكرة . فاستخرجت ورقة من جيبتي ، وتهيأت لتسطير اقواله . اسند كوعه الى الطاولة . وطرح حنكه على قبضة يده مفكرا . وبعد فترة قصيرة قال :

- فل لابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال ، انا الفارس الذي يمتلك كل السبوف فليختر السيف الذي به احاربه . وهذه دعوة تمثل نبيل الفارس وشهامته . والفارس انا . نعم ، انا الفارس الذي انتصر على اعدائه وهو في رحم امه .

وصفقنا له بانسراح . تعاد ليضيف :

- اينها النساء من يكون ابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال عندما اصاجع امرأة ؟ او حتى اقبل امرأة ؟ كل شيء يلقى ويتساءل ، فمن هو ابراهيم بن محمد بن فاضل بن غزال في هذا العالم الذي . . وسكت مفكرا برهة . ثم اضاف بارتياح :

- العالم الذي تشغل الصين الشعبية اكبر مساحة فيه ؟

اعترافات :

- انني لا اعيش بمعزل عن احداث عصري .

وكان يقرأ في الصفحة الاولى من جريدة يومية . وسألته :

- وماذا يهيك الان ؟

اجاب مسرعا :

- مصير الثورة في ظفار .

اعتراف آخر :

ذات ليلة شرب احمد العيد ست زجاجات من البيرة المشجعة ، شربها على عجل ، وبعد ان انتهى من ذلك بكى ، وفرر ان ينام مبكرا . وقال فيما قاله :

- انني احب سهير زكي ، وعندما كنت اזור مقهى العباقره في الباب الشرقي واشاهدها ترقص في التلفزيون ابكي .

ثم اضاف :

- انني ادلي بهذا الاعتراف الخطير نسييا ، وادرجه في باب التاريخ ليس الا ، فانا رجل مهتم بالتاريخ اضافه الى اهتمامي بالارشيف والمسرح والنساء .

لقطة ثامنة :

على المائدة بعض صحون المازة ، صحن فول ، وحمص مسلوق ، ورأس خس ، وليمون مقطع ، ومنفضة سكاكر فيححة الشكل ، وعلى المائدة ايضا قدحان فقط ، واسياخ من اللحم المشوي .

قلت لاحمد العيد :

- هل تحزن ؟

اجاب وهو يتكلم من انفه :

- حزن امي اكبر من حزني .

- اماذا ؟

- لانها فقدت زوجها الذي هو ابي مبكرا .

وضحك ثم صمق بيده . وطلب من النادل ان ياتيها بزجاجتي بيرة . وربت بيده على بطنه بعد ان ارخى حزامه . وتهدل كرشه الاخذ بالنمو امامه . وقال :

- عندما ارى الخروف المشوي في واجهة احد المطاعم ، اود لو احتضنه ، واقبله ، انه نعمة . ولكن الطبيب الفبي يأمرني بان اخفف وزني .

ثم استرخى بارتياح . وكنت اراقبه بين فترة واخرى . منذ اسبوع ثم اره ، واحسست بالرغبة في الجلوس معه . تلفنت له . واتفقنا على هذا الموعد .

جنسنا بادىء الامر جوار الزجاج المائل على الشارع . ولكنني اقترحت عليه :

- افضل ان نجلس في الجهة الاخرى . مكاننا هنا عرضة لراقبة الذاهب والاي . وقد يرانا ضيف ثقيل ويهبط علينا فيسلب منا هدوءنا .

وانسحب بخفة عندما وجد فبولا في وجهة نظري ، وشق طريقه بصعوبة بين الموائد المزدحمة ، وقال :

- هذا البار لعنت والذي صاحبه ، يعلم الله انني حملت في جيبتي منه هذا العام فقط اكثر من خمسين صحننا ، واكثر من ثلاثين ملقعة وشوكة .

ثم اضاف وهو يريح مؤخرته الكنتزة على الكرسي ، وبزفر بارتياح وكانه فرغ من اداء عمل ثقيل وقال :

- لا يكسفي في هذا اثار غير منافض سكاثره ، انها قبيحة ولا

تشجع على السرفة .

بم القفص المنفضة وربماها فسمع لسقوطها على الارض صوت منفر ،
والنفثت بانجاهنا رؤوس بعض الجالسين ، ولكننا لم نعرها انتباهنا .
وقلت له :

- والفرح ماذا يعني عندك ؟

رداً بسرعة دون ان يفكر :

- ان انام .

- تمام ؟

واضات وهو يتسهم :

- لانني اترقت ليلة البارحة ، وظللت اتقلب حتى الصباح دون
ان اهدأ . صمت برهة ، وعاد الى القول كمن نسي شيئاً سم تذكره
متأخراً :

- ذات يوم قرأت ان الجنس هو الحل الوحيد في مثل هذه
الحالة ، ولكنه لا ينطبق على حالتي ، لان ممارسة الجنس عندي تتبعها
لحظات صفاء عظيمة ، وحالة تيقظ قد تستمر ساعات . انني اعيش هذه
الساعات بمتعة ، ولكنها متعة مصحوبة بخوف ، حالة خاصة لا يمكن
ان اشرحها لك بدقة . كثيرون يستسلمون للنوم الهانئ بعد ممارسة
الجنس ، اما انا فلا ، احمد العيد نسيج وحده ، وهذه بديهية كلهم
تقرونها .

ضحكت وانا اردد :

- بالتأكيد .

- ولكن هذا العالم الرديء سيعرف بي يوماً .

ورفع صوته اكثر وهو يعلن :

- ايها العالم سترجع لاحمد العيد وستطلب منه العفو لانك شاكسنة
دوماً .

صمتنا برهة . استخرجت خلالها علبه سكارتي . وبدأت ادخن .
ولم اقدم له واحدة . فقد امثل لاوامر الطبيب وانقطع عنها للحساسية
الشديدة في انفه والتي تحولت الى التهاب مزمن في الجيوب الانفية .
قال :

- امتنعت عن السكائر ، وغدا عن البيرة ، فماذا يبقى لي ؟

واضاف :

- الفريب ان كل امراض تصيب الفتحات في جسمي ؟ الجيوب ،
اللوزتان ، والـ ...

وتوقف عن النطق وهو يقرأ وقع كلماته في وجهي ، ثم اكمل
بسرعة :

- والبواسير :

وسألته ببساطة :

- واين تريد ان تكون ؟

- في مكان اخر .

- هذه الفتحات اكثر ما تستعمله في جسمك .

- ايها اللعين غلبتني ، ولكن لا ، احمد العيد هو الغالب في
الاخير ، وسيخسر كل من ينوي مبارزتي في اي مجال .
وصمت من جديد ، ولكنه لم يتوقف عن تناول بعض ملاعق المازة ،
ثم همس لي :

- لدي أمنية واحدة .

- وما هي ؟

- ان يمسكني احد اصحاب البارات وانا متلبس بالسرفة .

- ولماذا ؟

- حتى اعتزل نهائياً ، اما الان فانا متأكد بانني اعظم لص في
العالم .

لقطة تاسعة :

كانت حصيلته فدحا واحدا ومهلحة ومصباحا كهربائيا ومنفضة

سكائر ، وفي الطريق امتنع عن اعطاني واحدة . سألته :

- لماذا ؟

اجاب :

- زوجتي ستحاسبني على التأخير ، وسأضطر لاسكانها بهذه

المقتنيات .

ملاحظة :

قد يسأل احدكم عن بعض صفات احمد العيد الجسدية ، واظن
انني لم اقل عنها الا التزر اليسير ، اذ قلت انه بدين ، وانه سريع
الوثب رغم ذلك ، وان لونه اسمر ، كما اخبركم عن عمره . واستكمالا
لهذه المعلومات ارفق لكم هذه الموصفات :

الاثار المميزة : انف مقطوع الاربعة . وقد اخبرني ذات يوم ان لهذا
القطع اثره في ان يتعرف على اول امرأة في حياته . كان انفها مثل
انفه . وعندما نظر اليها وضع سبابته على انفه مبتسماً فابتسمت هي
الاخرى . وكانت هذه السمة بداية العلاقة بينهما . وعلى الرغم من
عدم تأكدي من صحة هذه الرواية فلا بأس من ذكرها .

الطول : ١٦٥ سم .

لون الشعر : اسود ، وعي السالفين شعيرات بيضاء .

الهموم : كثيرة .

ايضاح :

مرات اتساءل وانا افراً كل هذا الهذر الذي سطرته عن احمد
العيد هل استطعت ان الحج ابواب عاله ؟ وان اقدمه نهدما مناسباً ؟
ولكنني اعجز عن الرد واحس انني ظلمته بطريقة ما ، وربما اكون قد
قصدت ذلك بدون وعي مني ، فبيننا حرب سجال ، احياناً يكون
مصدرها محاولة للفت نظر امرأة ، او المنافسة في الاناة . ومع كل
هذا فانا افر بان لاحمد العيد حضوره الساخن الذي يفجر اي مكان
يدخل فيه . وبهذا يتفوق علي .

وفي الحقيقة اقول ان احمد العيد رجل نادر وفريد ، ودائماً اقول
عنه انه عظيم . وعندما تسألونني : ما سر عظمته ؟ وفي اي مجال ؟
اعجز عن الرد . ولكنه عظيم وكفى .

لقطة تاسعة :

سألني احمد العيد :

- اخبرني ذات يوم انك ستكتب عني ؟

- وهذا ما فعلته .

- ولكن كيف ستنتهي القصة ؟

- هذا ما يحيرني .

وتتمم :

- غدا سنوفدي دالرتي الى دمشق ، ولكنني خائف .

- لماذا ؟

- منذ ان سمعت بقصتك .

- وما العلاقة ؟

- اخاف ان تسقط في الطائرة فتكون نهاية طبيعية لقصتك .

وقفة ثالثة :

(ادور منذ الاف السنين

حتى الان لا اعرف

ان كنت صفرا ، عاصفة ،

او اغنية كبيرة) .

- ريلكه -

بغداد